IX 9Marks سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

التَّلمذة

كيف تساعدُ الآخرين على اتِّباع يسوع

مارك دَفِر

المقـدِّمة

على مدار سنواتٍ كانت زوجتي تتحمَّل مُعارضتي للسؤال عن اتِّجاهات الطريق. أعلم أنِّي موهوبٌ وأتمتَّع بإحساسٍ طبيعيٍّ بالاتِّجاهات والطُّرق، وثقتي أحيانًا تفوقُ معرفتي بالطريق الصحيح. وكما تقول زوجتي عنِّي: "دائمًا ما تكون واثقًا بنفسك، وأحيانًا ما تكون على حقّ."

لستُ الشخص الوحيد الذي يرغب في التصرُّف باستقلاليَّة والتعامُل مع الأمر بمفرده. مثلاً، يحبُّ الناس كلمات روبرت فروست التي تقول: "طريقان تَشَعَّبا في غابة، وأنا اتَّخذتُ الطريق الذي لم يُسلَك إلَّا قليلاً، وهذا ما أحدثَ كلَّ هذا الاختلاف." كما ذَكَرَ هنري ديڤيد ثورو: "إذا كان الإنسان لا يُواكب رفقاءه، فربَّما يكون ذلك لأنَّه يسمع إيقاعًا مختلفًا." وقال وليَم إرنست هنلي عبارته المشهورة: "أنا سيِّد قَدَري... أنا ربَّانُ روحي."

ويبدو أنَّ الشُّعراء والكُتَّاب ليسوا وحدهم مَن يُحبُّون استقلالهم. فمثلاً، يذكُر روبرت پوتنام في كتابه "البولنغ وحده"[1] أنَّه يُمكنك أن ترى السكَّان أنفسهم ينسحبون من أنديتهم وجمعيَّاتهم المدنيَّة وكنائسهم المحلِّيَّة، ويشرح أيضًا العنوان الذي صاغته شيري توركلي لكتابها "وحدنا معًا: لماذا نتوقَّع من التكنولوجيا المزيد وننتظر القليل بعضنا من بعض" ذلك المشهد الشَّائع الآن في البيوت الذي يُصوِّر أفراد العائلة وهم يبعثونَ برسائل نصِّيَّة إلى أصدقائهم، ويتجاهلون الحديث بعضهم إلى بعض، في حين يجلسون إلى مائدة العشاء. ويذكُر إيريك كلينِنْبرغ في

كتابه "الحياة بمفردي" أنَّ المزيد والمزيد من البشر يختارون العيش بمفردهم. ويُضيف كلينِنْبرغ:

> "في عام ١٩٥٠م، لم يكُن عدد الأميركيِّين الذين يعيشون بمفردهم سوى ٤ ملايين شخص، وكان هذا العدد يُمثِّل نسبةً أقلَّ من ١٠٪ من الأُسر. أمَّا اليوم فوصل عدد الأميركيِّين الذين يعيشون بمفردهم إلى أكثر من ٣٢ مليون شخص، ويُمثِّلون نحو ٢٨٪ من الأُسر على مستوى الأمَّة، وأكثر من ٤٠٪ في مُدن مثل سان فرنسيسكو وسياتل وأتلانتا ودنڤر وميناپوليس، ونحو ٥٠٪ في مدن مثل واشنطن العاصمة ومنهاتن، اللَّتَين تُعدَّان أكبر مركزَين يعيش فيهما أشخاص بمفردهم."[٢]

وهذا الاتِّجاه ليس في أميركا فحسب. في العاصمة السويديَّة ستوكهولم، مثلاً، ٦٠٪ من الأُسر ليس فيها سوى فردٍ واحدٍ، وَفقًا لما ذكره كلينِنْبرغ.[٣]

ماذا يحدث؟ يرى كلينِنْبرغ أنَّ السكَّان في أماكن عدَّة يقدِّرون على نحوٍ مُتزايدٍ المساحةَ الأقلَّ، والقربَ من وسائل الراحة والخدمات، كالمتاجر والمطاعم والصالات الرياضيَّة وغيرها. ويُعيد العازبون تشكيل كلِّ شيءٍ ليكونَ أكثر ملاءمة لهم، على أن تكونَ الالتزامات المجتمعيَّة منفصلةً ومُؤقَّتة.

والآن في زمن المنتجات الإلكترونيَّة على اختلافها، يمكنُ القول إنَّ الحياة كلَّها صارت حياة إلكترونيَّة. والسُّؤال الآن: هل هناك في هذه الحياة الإلكترونيَّة التي تعتمد على الفرديَّة أيَّة مساحةٍ للحياة المسيحيَّة التي تعتمد على الجماعيَّة؟

في جوهر المسيحيَّة، تكمن رغبة الله الذي يتوق إلى شعبٍ يُعلن عن شخصه بطاعة كلمته في علاقاتهم بشخصه، وبعضهم ببعض أيضًا. لذا أرسل الله ابنه ليدعو له شعبًا يتَّبعه، وأحد جوانب اتِّباع الابن هو دعوة المزيد من الأشخاص إلى اتِّباع الابن. وفي حياة هؤلاء الأشخاص معًا يُظهرون الحياة الجماعيَّة والمُشتركة للآب والابن

والروح القدس، ويُظهرون معًا محبَّة الله وقداسته ووحدانيَّته. لذا أعطى الابن هذه الوصيَّة الأخيرة قبل أن يصعد إلى السماء: "اذهبوا وتلمذوا" (متَّى ٢٨: ١٩). وبعبارةٍ أُخرى، يجب أن تتَّسمَ حياة هؤلاء الناس بالتكريس لمساعدة الآخرين على اتِّباع يسوع المسيح.

وهذا هو التعريف العمليُّ للتلمذة في هذا الكتاب: مساعدة الآخرين على اتِّباع يسوع المسيح. ويُمكنك أن ترى هذا التعريف في العنوان الفرعيِّ للكتاب، ويُمكننا تعريف التَّلمذة بطريقةٍ أُخرى: "هي تقديم منفعةٍ روحيَّةٍ هادفة ومقصودة لشخصٍ ما، بحيث يصير أكثر شبهًا بالمسيح."

والتَّلمذة هي المُصطلح الذي أستخدمُه لوصف أتباع المسيح، وهي جزءٌ من مساعدة شخصٍ آخر على اتِّباع المسيح. تتضمَّن المسيحيَّة اتِّخاذ الطريق الذي لم يُسلَك إلَّا قليلاً، وسماع إيقاعٍ مختلف، لكنْ ليس بالطريقة التي قصدها فورست وثورو؛ فالمسيحيَّة ليست للأشخاص المُنعزلين أو الفرديِّين، بل لأشخاصٍ يُسافرون معًا في الطريق الضيِّق الذي يؤدِّي إلى الحياة، ويتَّبعون آخرين ويقودون ويُحِبُّون أيضًا؛ فنحن نُحبُّ الآخرين بأفضل طريقةٍ عندما نساعدهم على اتِّباع يسوع المسيح في درب الحياة.

هل تفهم المسيحيَّة بهذه الطريقة؟ ماذا يعني أن تكون مُؤمنًا؟

ما تعريف التلميذ؟

قبل التمكُّن من تلمذة الآخرين، يجب أن نُصبحَ نحن أنفسنا تلاميذ، ويجب التحقُّق من أنَّنا نتَّبع المسيح.

ما تعريف التلميذ؟ التلميذ هو تابع. يُمكن عمل ذلك باتِّباع تعاليم شخصٍ من بعيد مثلما قد يقول شخصٌ إنَّه يتَّبع تعليم غاندي ومثاله. ومعنى أنَّك تلميذ

للمسيح هو أنَّك تتَّبعُ المسيحَ ومثاله. وتلميذ يسوع يتَّبعُ خطواته، ويفعل ما علَّمَه يسوع وعاشه، بل أكثر من ذلك أيضًا؛ لأنَّ اتِّباع يسوع يعني أوَّلاً أنَّك دخلتَ في علاقة مُخلِصةٍ وشخصيَّة بشخص المسيح، واتَّحَدْتَ معه مثلما يقول الكتاب المقدَّس (فيلبِّي ٢: ١)، وحدث ذلك بواسطة العهد الجديد بدم المسيح. وبواسطة مَوت يسوع وقيامته، تحمَّل جميع ذنوب خطاياك وصارَ كلُّ برِّه لك. بعبارةٍ أُخرى، عندما تكون تلميذًا للمسيح لا يبدأ ذلك بشيءٍ تفعله، بل يبدأ بشيءٍ فعله المسيح، الرَّاعي الصَّالح، الذي وضع حياته لأجل الخراف (يوحنَّا ١٠: ١١)، وأَظهَرَ محبَّته للكنيسة لذلك أسلمَ نفسَه لأجلها (أفسس ٥: ٢٥)، وبهذا دفعَ الدَّين الذي لم يكُن عليه بل كنَّا نحن مَدينين به، ثمَّ وحَّدنا به بصفتنا شعبًا مُقدَّسًا له.

الله صالح وخَلَقَنَا صالحين، لكنَّ كلًّا منَّا أخطأ بالابتعاد عن الله وشريعته الصَّالحة، وبسبب صلاح الله سيُعاقِب خطايانا. غير أنَّ الخبر السارَّ الذي تُقدِّمه المسيحيَّة هو أنَّ يسوع عاشَ حياةً كاملةً علينا أن نعيشَها، ثمَّ ماتَ بدلاً منَّا، وقدَّم نفسَه ذبيحةً بدلاً من كلِّ واحدٍ يتوب عن خطاياه، ويثق بيسوع وحدَه. وهذا ما يُسمِّيه يسوع "العهد الجديد بدمه". لذلك تبدأ التَّلمذة المسيحيَّة بقبول العطيَّة المجَّانيَّة المتمثِّلة بالنعمة والرحمة والعلاقة بالله والوعد بالحياة الأبديَّة.

كيف نربح هذه العطيَّة ونتَّحد بالمسيح؟ يحدُث ذلك بالإيمان عندما نبتعد عن خطايانا ونتَّبع يسوع ونثق به بوصفه مُخلِّصنا وربَّنا. في إحدى المرَّات، التفتَ يسوع في أثناء خدمته نحو الجموع وقال: "مَنْ أرادَ أنْ يأتيَ ورائي فليُنكِرْ نَفسَهُ ويَحمِلْ صَليبَهُ ويَتبَعني" (مرقس ٨: ٣٤). تبدأ تلمذتنا عندما نسمع هذه الكلمة ونطيعها: "اتْبَعْني".

فإذا صِرت مُؤمنًا، فاستمعْ إلى يسوع الذي قال إنَّ على المؤمن أن يُنكِر نفسَه ويحمل صليبه ويتبعَ السيِّد، وذلك مهما كان ما قاله أيُّ مُعلِّم آخر. وتتمثَّلُ الاستجابة الأساسيَّة لمحبَّة الله الجذريَّة لنا في أن نحبَّه محبَّةً جذريَّة.

يعني أن تكونَ مُؤمنًا أن تكون تلميذًا، فجميع المؤمنين تلاميذ دون استثناء. ويعني أن تكون تلميذًا ليسوع أن تتَّبعه، وليس ثمَّة استثناء.

لكنَّ وَضْعَ علامة في مربَّع استطلاع للرأي أو وَصفِ نفسك بصدقٍ أنَّك تتَّبعُ دين والدَيك أو تُفضِّل المسيحيَّة على الأديان الأخرى لا يجعلك مُؤمنًا. لدى المسيحيِّين إيمانٌ حقيقيٌّ بالمسيح، ويُظهرون ذلك بوَضْع آمالهم ومخاوفهم وحياتهم عليه بالكامل ويتَّبعونه أينما قادَهم. وفي هذه الحال، لن تحتاج إلى وَضْع جدوَل أعمالٍ لحياتك؛ لأنَّ يسوع المسيح سيفعل ذلك ما دمتَ تنتمي إليه الآن. يُعلِّمنا الرسول بولس: "أَنَّكُمْ لَستُمْ لأنفُسِكُمْ. لأَنَّكُمْ قد اشتُريتُمْ بثَمَن" (١كورنثوس ٦: ١٩-٢٠). يسوع ليس فقط مُخلِّصنا، بل هو ربُّنا وسيِّدُنا.

وقد شرحَ الرسول بولس هذا الأمر قائلًا: "وهو ماتَ لأجلِ الجميعِ كَيْ يَعيشَ الأحياءُ فيما بَعدُ لا لأنفُسِهِمْ، بل للَّذي ماتَ لأجلِهِمْ وقامَ" (٢كورنثوس ٥: ١٥). ماذا يعني أن تموتَ عن الذَّات وتعيش له؟ قال دون كارسون: "يعني الموت عن الذَّات أن تحسبَ الموت أفضلَ منَ الشَّهوة، أفضلَ منَ الكذب، أفضل مِن...(سمِّ ما شئتَ من الخطايا)." الحياة المسيحيَّة هي حياة التَّلمذة، وتبدأ بأن تصير تلميذًا للمسيح

لماذا نُتلمِذ؟

الحياةُ المسيحيَّة هي حياةُ تلمذة؛ لأنَّ التلاميذ أنفسهم يُتلمِذون آخرين، ونحن نتَّبع الشخص الذي دعا الناس كي يتبعوه، وهم بِدَورِهم يدعون الناس إلى اتِّباعه. لماذا نفعل ذلك؟ بسبب محبَّتنا وطاعتنا له.

المحبَّة

الدَّافع لتلمذة الآخرين يبدأ من محبَّة الله ولا أحد غيره، فقد أحبَّنا في المسيح ونحن نحبُّه، ونحن نفعل ذلك جزئيًّا بواسطة محبَّةِ أولئك الذين وضعَهم الله من حولنا.

عندما سألَ أحدُهم يسوعَ عن أعظم وصيَّة، أجابه يسوع بالقَول: "تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ من كُلِّ قَلبِكَ، ومن كُلِّ نَفسِكَ، ومن كُلِّ فِكرِكَ، ومن كُلِّ قُدرَتِكَ" (مرقس ١٢: ٣٠). أكثر ما يريده الله منك هو أن تُحبَّه من كلِّ تطلُّعاتك ودوافعك، ورغباتك وآمالك، وتفكيرك ومنطقك، وقوَّتك وطاقتك، وكلُّ ذلك بواسطة كلمته التي تُعلِّمنا وتنقِّينا وتُساعدنا أن نكونَ منضبطين.

في الواقع، سيظهرُ تكريسُك الشَّامل والكامل لله بمحبَّتك لأولئك المخلوقين على صورته. في المثال السَّابق، سألَ الشَّخص عن أعظم وصيَّة، لكنَّ يسوع أعطاه وصيَّتَين: "وثانيَةٌ مِثلُها هي: تُحِبُّ قريبَكَ كنَفسِكَ. ليس وصيَّةٌ أُخرَى أعظَمَ من هاتَين" (مرقس ١٢: ٣١). وعدم اتِّباع الوصية الثانية يعني أنَّك لم تتَّبع الوصيَّة الأولى؛ لأنَّ محبَّة الله أساسيَّةٌ لمحبَّة القريب، ويجب أن تُعبِّر المحبَّة لله عن نفسها بإظهار المحبَّة للقريب، ومن ثَمَّ تُكملُ فريضةَ المحبَّة.

تبدأ محبَّة الله لنا بسلسلةٍ من ردود الفعل؛ فالله يُحبُّنا ونحن نحبُّه، وعلينا بعد ذلك أن نحبَّ الآخرين. يُوضِّحُ يوحنَّا ذلك قائلاً: "نَحنُ نُحِبُّهُ لأنَّهُ هو أحَبَّنا أوَّلاً. إنْ قالَ أحَدٌ: "إنِّي أُحِبُّ اللهَ" وأبغَضَ أخاهُ، فهو كاذِبٌ، لأنَّ مَنْ لا يُحِبُّ أخاهُ الذي أبصَرَهُ، كيفَ يَقدِرُ أنْ يُحِبَّ الله الذي لَمْ يُبصِرهُ؟ ولَنا هذِهِ الوَصيَّةُ مِنهُ: أنَّ مَنْ يُحِبُّ الله يُحِبُّ أخاهُ أيضًا" (١يوحنَّا ٤: ١٩-٢١).

وأيُّ ادِّعاء بأنَّك تحبُّ الله لكنَّك لا تُظهر هذه المحبَّة ولا تُقدِّمها للقريب يعني أنَّك تحبُّ إلهًا باطلاً، وهذا شكلٌ آخر من أشكال عبادة الأوثان. في هذه

الآيات، يُعيد يسوعُ ويوحنَّا ربْطَ بعض الحلقات التي انقطعت في سقوط الخليقة. وتُظهر تلمذة الآخرين- أي تقديم منفعة روحيَّة هادفة لهم، ومساعدتهم على اتِّباع المسيح- هذه المحبَّة لله وللآخرين.

الطَّاعة

ترتبطُ الطَّاعة بمحبَّتنا. وقد علَّم يسوع بالقَول: "إنْ كنتُم تُحِبُّونَني فاحفَظوا وصاياي" (يوحنَّا ١٤: ١٥، انظر أيضًا ١٤: ٢٣، ١٥: ١٢-١٤). وما الأمر الذي أوصانا به؟ أوصانا يسوع قائلاً: "فاذهَبوا وتَلمِذوا جميعَ الأُمَمِ وعَمِّدوهُم باسمِ الآبِ والابنِ والرُّوحِ القُدُس، وعَلِّموهُم أنْ يَحفَظوا جميعَ ما أوصَيتُكُمْ بهِ. وها أَنا معكُمْ كُلَّ الأيَّامِ إِلَى انقِضاءِ الدَّهر" (متَّى ٢٨: ١٩-٢٠). جزءٌ من طاعتنا هو قيادة الآخرين أيضًا إلى الطَّاعة.

لم تكُنْ وصيَّةُ يسوع الأخيرة هي حثَّ تلاميذه على المقاومة المسلَّحة لروما، أو الانتقام ممَّن قتلوه، بل نظر يسوع إلى أتباعه وطلب إليهم أن يتلمذوا آخرين، ولا يكتفوا بأن يكونوا تلاميذ فحسب. لم يُميِّز يسوع ما بين التلاميذ الذين أعطاهم هذه الوصيَّة، والذين لم يُعطِهم إيَّاها؛ فقد وعد جميع المؤمنين أن يكون معهم، وظهر ذلك في يوم الخمسين. ويمتدُّ هذا الوعد إلى نهاية الدهور، وإلى ما بعد حياة الرُّسل. وفي بقيَّة العهد الجديد، كان جميع المؤمنين يؤدُّون هذا العمل حسب قدراتهم وفرصهم ودعواتهم، وأعطى يسوع هذه الإرساليَّة العظمى إلى مَن سيكونون تلاميذه، وهو يُعطي هذه الوصيَّة لكلِّ مؤمنٍ في كلِّ الأوقات.

التَّلمذة هي أساسُ المسيحيَّة. إلى أيِّ مدى يُمكن أن يكونَ الأمر أوضحَ من ذلك؟ قد لا نكونُ تلاميذَه إذا لم نعمل على تلمذة آخرين.

أين نتلمذ؟ وكيف؟

لكنْ لا بدَّ من ملاحظة أمرٍ آخرَ بخصوص هذه الوصيَّة الأخيرة التي قالها يسوع، ويتعلَّق بالمكان الذي نتلمذ فيه، وكيفيَّة القيام بذلك. علينا أن نتلمذَ جميع الأمم بواسطة كنائسنا.

إلى جميع الأمم

قبل أن يطلبَ يسوع إلى تلاميذه أن يتلمذوا آخرين، أخبرهم بأنَّه دُفِعَ إليه كلُّ سلطانٍ في السَّماء والأرض، ثمَّ أخبرَهم أن "يذهبوا ويتلمذوا". فإرساليَّةُ يسوعَ عالميَّةٌ وتشملُ الجميع، وهذا هو محور اهتمامه. وتقود شموليَّة سُلطانه واهتمامه إلى شموليَّة إرساليَّته؛ فنحن نذهب إلى جميع الأمم. والتَّلمذة لا تقتصر على الشعب القديم أو الشرق الأوسط أو أفريقيا، كما أنَّ المسيحيَّة ليسَتْ قاصرةً على أوروبا أو آسيا؛ لأنَّ للمسيح كلَّ السُّلطان، وعلينا أن نذهبَ إلى جميع الأمم ونتلمذهم.

بواسطة كنائسنا

بعد أن أوصى يسوع تلاميذه أن يُتلمذوا، أخبرَهم بكيفيَّة القيام بذلك، بواسطة المعموديَّة والتعليم. صحيحٌ أنَّ المرسَلَ أو المبشِّرَ يذهب إلى العالم، أو إلى المكتب أو المدرسة أو الحيّ، سواء في هذا الجانب من العالم أم الجانب الآخر، لكنَّ خدمة الفرائض، أو خدمة التعليم، تحدُث في الأساس بواسطة الكنائس التي تحقِّق الإرساليَّة العُظْمى، ومن ثَمَّ فالتَّلمذة هي عمل الكنائس. علاوةً على ذلك، يُمكن بكلِّ تأكيدٍ أن تحدُثَ الشركة الجيِّدة والتَّلمذة خارج سياق عضويَّة الكنيسة، لكن بواسطة خدمة الكنيسة في المعموديَّة والعشاء الربَّانيّ، نتعرَّف بعضنا إلى بعض نحن المؤمنين، ويُضفي هذا مسؤوليَّةً روحيَّةً مفيدةً على علاقات

التَّلمذة. وبواسطة الخدمة والتعليم اللَّذَين تقدِّمهما الكنيسة والشيوخ، يتعلَّم المؤمنون طاعةَ كلِّ ما أوصى به يسوع.

في المقام الأوَّل، على المؤمنين التطلُّعُ إلى تلقِّي التَّلمذة، وتلمَذةِ آخرين بدورهم، وذلك بواسطة الشركة مع الكنيسة المحلِّيَّة، سواء كانت مجتمعة أم مُشتَّتة. لاحظَ ديڤيد ويلز: "من السَّهل جدًّا بناء كنائس فيها يجتمع الباحثون عن الله، ومن الصَّعب جدًّا بناء كنائس ينضج فيها الإيمان الكتابيُّ إلى تلمذة حقيقيَّة."[٤]

الخلاصة

يهدفُ هذا الكتاب إلى مُساعدتك كي تفهم التَّلمذة الكتابيَّة، ويسعى إلى تشجيعك في طاعتك للمسيح؛ لأنَّ التَّلمذة الكتابيَّة كما قلتُ هي مساعدةُ الآخرين على اتِّباع يسوع بتقديم المنفعة الروحيَّة الهادفة لهم. وتحدُث كثيرًا في الكنائس وبواسطتها. ومنَ السَّهل على المؤمنين اليوم الإخفاقُ في ذلك، حيث لا يفطنون لمعنى التَّلمذة.

هل تبحثُ عندما تحضر الكنيسة أيَّام الأحد عمَّا يُمكنك الحصول عليه، أم تبحث أيضًا عن طُرقٍ سخيَّةٍ تُبارك بها الآخرين وتُقدِّم إليهم عطايا مختلفة؟ كيف تستهلكُ وجباتك وتُمضي أوقاتِ فراغك طَوال الأُسبوع؟ هل تُخطِّط للكرازة أو لطرقٍ تبني بها مؤمنين آخرين؟

ربَّما كنتَ تعتقدُ أنَّك تحتاجُ حقًّا إلى التَّلمذة قبل أن تُتلمذَ آخرين. من المهمِّ بالتأكيد أن تكونَ تلميذًا، لكنَّ يسوع أعطاك وصيَّةً أُخرى: أن تُتلمِذَ آخرين أيضًا. في الواقع، جزءٌ من كونك تلميذًا هو أن تُتلمذَ، وجزءٌ من النموِّ والنضج هو مساعدة الآخرين على النموِّ والنضج. يُريدُ لك الله أن تنضمَّ إلى كنيسةٍ ليس فقط لسداد حاجاتك، بل أيضًا لإعدادك لرعاية الآخرين وتشجيعك على ذلك.

لا تستهدفُ المسيحيَّة بواسطة الكتاب المقدَّس شخصًا فظًّا وعصاميًّا لا يحتاج إلى شخصٍ آخر، لكنَّها عقيدةٌ اعتنقها تلاميذ المسيح وأتباعه ممَّن يقودون آخرين للقيام بالأمر ذاته.